

استثمار الرؤية اللسانية المعرفية في اكتساب الملكة اللغوية

جمعة نعامي¹

إسماعيل سييوكر²

¹ جامعة قاصدي مرياح - ورقلة - (الجزائر)

² جامعة قاصدي مرياح - ورقلة - (الجزائر)

ملخص:

انتقل مجال البحث في اللسانيات المعاصرة من الرؤية الوصفية لوجوه عمل الملكة اللغوية بمستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية إلى مجال أوسع وهو البحث في كيفية اشتغال عمل الملكة اللغوية في الذهن البشري؛ كما أدت الكثير من البحوث اللسانية الراهنة إلى التركيز على الذكاء الاصطناعي؛ فصار جل المجالات الهامة المتعلقة بها، واكتسابها تحاول الاستفادة من التعلم الرقمي؛ و قد استفادت هذه الدراسات من نظرتين هامتين شكلتا نقاطا أساسية في تحقيق هذه الأهداف ونعني بذلك اللسانيات التوليدية في شقها الأخير المتمثل في البرنامج الأدنوي لتشومسكي؛ أما الجزء الثاني فعرف بالاتجاه المعرفي بمنهجه المعروف "التصوري الذهني" و"المعرفي الدلالي".

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أهم ما جاءت به هتتين النظرتين في حقل تعليمية اللغات واكتسابها؛ وتصبو إلى بيان أهميتها كذلك في حقل تعليمية اللغة العربية؛ مثلما تحاول خلال هذه الدراسة بيان خصائص هتتين النظرتين في ضوء اكتساب اللغة وتعلمها .

الكلمات المفتاحية: الرؤية اللسانية المعرفية، الملكة اللغوية، الاتجاه التوليدي، الاتجاه المعرفي، اكتساب اللغة وتعلمها.

Abstract:

The field of research in contemporary linguistics has moved from the descriptive vision of the language faculty, morphological, syntactic, and semantic aspects of the work of the language faculty to a broader field of research on how the language faculty work works in the human mind. These studies have benefited from two important insights that were key points in achieving these goals, namely, obstetric linguistics in its last segment of the Chomsky minimalism Program; For the second, I knew the direction of cognitive known as the "conceptual mental" and "semantic knowledge."

The aim of this study is to find out the most important of these two perspectives in the field of learning languages and acquiring them; In the course of this study, it attempts to demonstrate the characteristics of these two views in the light of language acquisition and learning.

Keywords: Cognitive linguistic vision, The language faculty, Universal grammar , the cognitive image, language acquisition and learning.

مقدمة.

بداية يمكن القول أن الفلاسفة كانوا أوسع حظا في تناولهم موضوع الملكة وذلك لأسباب عديدة نذكر منها اتصال اللغة الإنسانية بمباحث شاملة وفلسفية مثل علاقة اللغة بالوجود والإدراك والتفكير والمنطق والنفس والشعور وغيرها .

لذلك فإن اللسانيين العرفانيين فيما بعد قد أرجعوا هذه المباحث المتعلقة باللغة الإنسانية ولكن بمصطلحات تقنية ومقاييس بيولوجية أفرزها التطور الهائل في العلوم المعرفية الخاصة بالذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب والبيولوجيا وغيرها .

أولا:الاتجاه التشومسكي في النظر للملكة اللغوية:

في هذه المداخلة هناك اتجاهان بارزان في النظر للملكة اللغوية هما الاتجاه التوليدي والاتجاه المعرفي التصويري (الأزهر الزناد، ص57-59)، وتبرز الإشكالية المحركة لهذين الاتجاهين في قضية واضحة هي المعنى أو قضية الدلالة.

المنتبج لنظريات تشومسكي يفهم بوضوح تلك القواعد الشكلية التي سمت بها نظرياته للنظر في الملكة اللغوية وهذا الأمر راجع للتوجه الذي ينتمي إليه وهو التيار اللساني؛ في حين أن نظرياته الأخيرة والتي عرفت باسم البرنامج الأدنوي جاءت نقلة نوعية وذلك لـ:

1-أن الملكة اللغوية هي ملكة نفسانية بالدرجة الأولى.

2-الملكة اللغوية عضو بيولوجي مثل غيره من الأعضاء ؛ وسوف نستطيع أن نخضعه للدراسة العلمية، بالرغم من أن مصطلح الحدس أو الفطرة الإنسانية الذي أخذه من ديكارت (مصطفى غلفان وآخرون، 2010، ص5) ينم على عكس ذلك ، يبرز الاختلاف في هذه النقطة أن المصطلحات التي يستخدمها هي من نتائج علم النفس المعرفي الرامية إلى:

- ايجاد بناء منطقي للمعرفة اللغوية يحاكي في وجوه تصرفه ووظائفه الملكة عند الإنسان وهذا أهم فارق يظهر أن تشومسكي قد تناول الملكة اللغوية من منظور تقني واستعمل كل الروابط المنطقية والرياضية في صياغة برنامجه الأدنوي والذي يعني به أن الملكة اللغوية لها من التعقيد ما يجعل تلك القواعد التي نظر لها والتي تحكم المعرفة اللغوية قد أثقلت بكثير عمل الملكة اللغوية اذا قابلناها بأهم عنصر فيها مختصر ودقيق هو المعنى أو الدلالة .

على كل فإن تشومسكي يعد الملكة اللغوية من هذا الجانب قسمان:

1- المعجم الذهني : وهو الذي يوفر المعلومات، والوحدات المعجمية

2-النظام الحوسبي: وهو عمليات التوليف التي تقوم بالربط والنقل والضم؛ والاشتقاق والتمثيلات والتأويل.

وجميع هذه المصطلحات هي من حقل الذكاء الاصطناعي ؛ أو البرنامج الحاسوبي.

ثانيا:الاتجاه المعرفي في النظر إلى الملكة اللغوية:

بيد أن العرفانيين كانوا أكثر وفاء لمنهج أيضا في تناولهم الملكة اللغوية؛ وذلك للاعتبارات الآتية:

1-العودة لمبحث المعنى (طه عبد الرحمن،1998،ص266). والدلالة أو الإدراك والذي نادى به مجموعة من العرفانيين منهم لانفاكر.

2-لا يمكن أن تعد الملكة اللغوية، مجموعة من الخوارزميات (طه عبد الرحمن، ص26) تعطي من دخل ما خرج ما، ولا يمكن أن يعد النحو مركزها ولا يوجد فصل بين الدلالة والصرف والإعراب لأن الذهن يدركهم جميعا بطريقة متوازنة ويتفاعل مجموعة من الأنظمة المعرفية عند الإنسان مثل السمع والإدراك والذوق والبصر وغيرها .

3-إن الملكة اللغوية على علاقة بتجربة الإنسان، وبالزمان وبالفضاء؛ إذ يعد لايقوف أن الاستعارة اللغوية هي جزء من تفكير الإنسان وجزء من تجربته التاريخية والوراثية الجسدية، الأمر الذي يجعل القول بخرق اللغة هو بمثابة مبدأ لساني أقصى المعنى والتفكير من دراسته.

ثالثا: خصائص منهج المقاربة التوليدية والمعرفية:

إن أهم خاصية يمكن أن نستخلصها من هتين المقاربتين ، وجود تقابل منهجي، لوصف عمل الملكة اللغوية وليس جوهرها وذلك لأن:

1-تشومسكي وصل في الأخير إلى حوسبة النظام اللغوي، ولم يتوصل إلى طبيعة هذه المعرفة اللغوية التي هي تطرح إشكالات أكثر مما تقدم أجوبة لأنها ترتبط بالتفكير والمعنى وغيرها من الملكات التي لا يمكن للمنهج التقني أن يعطي لنا إجابات واضحة عنها.

2 -اللسانيون المعرفيين وصلوا هم أيضا إلى المقاييس البيولوجية ولم يصلوا إلى الإجابة الشافية عن كيفية اشتغال اللغة في الذهن، وحلول النحو في السيلة العصبية، أو كيفية تشكل الكلمات وتركيبها وتصورها في الدماغ فضلا عن المقاصد؛ هذه المباحث الخاصة بعلاقة اللغة بالتفكير، والجسد والزمان والتاريخ وغيرها هي مباحث فلسفية بالدرجة الأولى، وهي من أسئلة الذهن البشري منذ القدم؛ الجديد فيها تلك المحاولات التقنية والبيولوجية للإجابة عن تلك الأسئلة القديمة .

رابعا: اكتساب الملكة اللغوية العربية في ظل الرؤية المعرفية اللسانية:

هذه الرؤية تحتاج الكثير من الفرضيات التي يجب مساءلتها انطلاقا من عدة عوامل وإشكالات؛ تتعلق أولا بالترجمة العلمية للكثير من المصطلحات؛ وثانيا تتعلق بخصوصية المعرفة اللغوية الإنسانية بشكل عام والمعرفة اللغوية العربية بشكل خاص؛ وثالثا والأهم مدى إجابة هذه المداخل المعرفية اللسانية عن السؤالين المهمين؛ وهما إيجاد نحو كلي للغات البشرية؛ والوصول إلى طريقة مثلى في تحصيل هذه المعرفة اللغوية، أو بشكل أدق اكتساب الملكة اللغوية بجميع مهاراتها؛ الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة على التوالي؟

1- قضية المصطلح:

1-1- مصطلح المعرفة والعرفانية والإدراكية

تتداخل هذه المصطلحات، حتى أننا لا نميز بينهما وذلك لتبني الكثير من الباحثين العرب مصطلحا دون الآخر؛ ويرجع ذلك لاعتبارات عديدة؛ منهجية ولغوية وفلسفة العلوم .

1-2- المعرفة : ما توصلت إليه علوم الذكاء الاصطناعي وعلوم الفيزياء والرياضيات والبيولوجيا وعلوم الأنثروبولوجيا .

1-3- العرفانية: خاص بسؤال أفلاطون والتصوف؛ فالمعرفة الصوفية لها خصائصها و طرقها؛ وهي فوق طور العقل، ولا يمكن إدراكها مباشرة.

1-4- العرفية : وهو مصطلح اختص به الباحث الأزهر الزناد -اعتبار لغوي-1-5- الإدراكية : ويرجح أنه المصطلح الأول فيما يخص العلوم المعرفية بحسب لايفوف .

وفيما يلي سنشرح بإيجاز ما توحى به هذه المصطلحات؛ لأنها تمثل قضية محورية وهي مركز الرؤية اللسانية المعرفية ، لأننا على يقين بأهمية الترجمة الدقيقة في تجاوز القراءة التأسيسية والنظرية إلى قراءة إبداعية للمتعلم الواعي بلب القضايا المعرفية المطروحة في ميدان اللغة والإدراك ، والفيزياء، والبيولوجيا والمنطق والرياضيات.

ونعني بذلك أنّ تحديد مصطلح "المعرفة" *connaissance* من المصطلحات الأخرى المجاورة له مثل "العرفانية" *knowledge* أو الإدراكية *perception* أو "العرفية" *cognition* "

(Publié a 22nd April 2012 par lazhar zanned)

ستؤدي بالضرورة إلى ملامسة أهم المنطلقات التأسيسية عند اللسانين العرفانيين في مجال الملكة اللغوية، وإذا يمثل أهم فرق بين المعرفية والعرفانية؛ أن الأولى مؤسسة بما تطور في مجال العلوم المعرفية-علم النفس المعرفي، والذكاء الاصطناعي، والعلوم العصبية، والمعلوماتية، والبيولوجيا وعلم الأحياء، وعليه فالاسترسال الدلالي لمصطلح "المعرفية" يحيل إلى المفاهيم الآتية:

-أن تعكس مبادئ الأبنية اللغوية المرموزة في ذهن البشري ما توصلت إليه هذه العلوم.

-امتزاج الفكر بالجسد أو ما يعرف بحلول النحو واللغة في الأراضي العصبية.

في حين يحيل "العرفانية" بما يمكن إعادته إلى العرفانية الأفلاطونية (نعوم تشومسكي، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، 1990، ص16) أو ما يعرف -ونحن بصدد الملكة اللغوية المعرفية -عن السؤال المطروح: وهو كيف يمكن للإنسان المحدد العمر والشخصية أن يدرك الكم الهائل من المعارف في العالم الكبير وكلها تحيل إلى الثنائية المعروفة، عالم المثل وعالم الحس.

وأما عن مصطلح "الإدراكية" وهي مجموعة التصورات، المتعددة الرؤى والتوجهات، للنظر في الظاهرة اللغوية، والعالم والزمان والجسد وغيرها.

وذلك ضمن " جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تظافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب (علوم الدماغ) واللسانيات والأنثروبولوجيا. وتدرس العلوم العرفية الذكاء عامة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله وتعني كذلك بمنولته وتبحث في تجلياته النفسية واللغوية والأنثروبولوجية (إمبار 1992). " (الأزهر الزناد، ص15)

وعرف هذا التعدد المصطلحي نقاشا واسعا بين الباحثين اللسانيين العرب، لكل منهم مبرره في الاختيار؛ سواء ما تعلق بالمبرر اللغوي (عرفنة، معرفية، عرفانية)، أو الاستمولوجي (فلسفة العلوم)، أو المنهجي النظري.

2- خصائص المعرفة اللغوية الانسانية:

هذا الإشكال لم يكن حكرا على اللغويين؛ بقدر ما كان الفلاسفة أوسع حظا في بيان العلاقة بين اللغة والمنطق أو العقل والنفس أو الروح والشعور؛ إلا أن ما يميز المنهج اللساني المعاصر هو الاتكاء على المنهج التجريبي في دراسة الظاهرة اللغوية؛ لكن ما يميز هذه المناهج هو اعتبار اللغة وهي خاصية نفسية شعورية، ومعنوية مجردة لغة لا تقبل إلا مبادئ عقلية، اسفرت على التوجه المعروف " صورنة ورقمنة اللغة الإنسانية" وهذا في إطار مشروع علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي؛ وهذا بالتأكيد يؤدي إلى ما يعرف بصناعة اللغات في عقل الحاسب؛ كما أن السؤال الذي لم تستطع الإجابة عنه وفق هذه المناهج صنع اللغة في عقل الحاسب تستجيب لجميع السياقات والمقامات القولية؛ الأمر الذي يجعل هذه الرؤى في تحد كبير مرهون بكيفية تقدم هذه العلوم جملة وتفصيلا.

على كل فإن أهم خاصية تتميز بها المعرفة اللغوية البشرية خاصية الشعور والنفس؛ والارتباط الذي يمثل جوهر الإشكالية اللغوية هو هذه العلاقة؛ وفيما يلي أهم الأسس التي ارتكزت عليها الرؤية التوليدية والمعرفية لتمثيل هذه العلاقة:

2-1- تشومسكي ومبدأ استقلالية الملكة اللغوية عن باقي الملكات عند الإنسان:

إن الأخذ باستقلالية عمل الملكة اللغوية له مبرره الفلسفي والنظري، لأن تشومسكي يعتبر الملكة اللغوية مكونا من مكونات العقل، ودراسة عملها هو دراسة منتجاته ومبادئه، لذا كان من المقرر البحث عن مناويل أقرب إلى الطبيعة اللغوية المعقدة عند الإنسان؛ وهو ما دعا العرفانيين من بعده إلى الأخذ بمبدأ التوازي والتفاعل بين الأنظمة المعرفية عند الإنسان انطلاقا من بحوث علم الأعصاب..

فمن المعقول أن يصطبغ المنهج التشومسكي بعبارات الذكاء الاصطناعي، والمعول على أصحابه إيجاد بناء منطقي ومعرفي يحاكي في عمله وظائف الذهن الكبرى، ويعود اتجاه تشومسكي إلى التركيز على الصيغ النظرية والمنهج الصوري الذي يعتبر الظاهرة اللغوية تخضع للمنطق والصورنة والأسلوب العلمي التجريبي، حتى وإن كان هناك تحد كبير فيما يخص التجارب الفردية أو اختلاف الألسن؛ وهذا أهم تناقض يواجه هذا المبدأ حين يراد إيجاد نحو كلي شامل يصف كل اللغات البشرية.

2-3- التصوير الذهني والمعرفي :

ما يحسن أن نقوله في خصائص أسس هذا المنهج المقارب للملكة اللغوية ، أن طبيعة هذه المناهج في دراسة الملكة اللغوية تطرح أسئلة أكثر مما تقدم أجوبة، وهذا نظرا لطبيعة الظاهرة التي يتناولها العرفانيون وهي " علاقة اللغة بالإدراك وبالفكر" والكيفية التي يتم بها اشتغالها عند الإنسان.

وذلك لا ينفك عن الأسئلة الجوهرية القديمة حول طبيعة الفكر وعلاقته بالمادة، وطبيعة التجربة الإنسانية وغيرها مما هو قديم بطرح تقني جديد.

ويوضح محمد صلاح الدين الشريف حول هذه النقطة بالذات في إطار بيان قيمة النتائج للنظريات اللسانية في فهم اللغة ومنهجها" إذ ما ينتظر منها ومن نجاعتها في الكشف عن أسرار الطبيعة، وهذا الأمر لا يكون أوله إلا بالحدس والاعتقاد. ثم بالنتائج يقع الفرز والفصل" (عبد الجبار بن غريبة، 2010، ص10).

كما يشير في موضع آخر"ليس من اليسير وصف المجردات اللغوية بنفس الثقة التي نصف بها المكونات الفيزيائية أو البيولوجية. فالجزئيات المكونة للذرة أو لوالب الذرة المكونة للجينات أقرب إلى الحواس التي لا تدركها إدراكا مباشرا من الوحدات الصوتية والصرفية المعبر عنها بالأصوات القابلة للقياس..." (منية عبيدي، 2013، ص19).

وهذا رأي ناقد يحتاج إلى ما يثبته، إلا أن الصحة الملحوظة في هذه الفكرة ينطوي على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار خصوصية اللغة الإنسانية ، ولا بد أن نفهم أن المعنى هو جوهر الإشكالية فيما يخص التعريف بالدلالة أو المعنى؛ فأين يوجد المعنى هل في المتكلم أو النص(الخطاب)، أو في المتلقي والسياق.

3-المعرفة اللغوية واللغة العربية:

بداية وقبل الحديث عن هذه النقطة لا بد أن نميز بين اللغة العربية ولغة القرآن العظيم الذي أنزل بلسان عربي مبين؛ ففرق من أن نفهم اللغة العربية التي يتحدث بها على صعيد اجتماعي واسع مسببا انتشارا، وبين جعل لغة القرآن العظيم سبيلا لتكثُر المعرفة اللغوية عند المتحدث بهذه اللغة؛ وما ننوه على أن اللغة العربية من بين لغات العالم، التي حدث لها من التداول لزمن يزيد عن 14 قرن، وما يهمننا في هذا المقام أن من أهم شروط التداول للمعرفة اللغوية انتشارها بين مستعمليها، وتبوتها أداة العلم والمعرفة الإنسانية ، لذلك كان أهم ما كتب لهذه اللغة الشريفة من الحفظ والارتقاء والانتشار " أنها لسان القرآن العظيم" وما حمله من شرائع وقوانين هامة توضح مستوى التعامل بين الناس، وتضبط العلاقة بين أفراد المجتمع، وأسلوب في التفكير العلمي.

من جهة أخرى وعلى غرار النظرة التصويرية والفضائية؛ وضمن عملية الإنتاج-الإنشاء بالمصطلح العربي- يحسن كذلك الالتفات إلى الشق الآخر وهو الفهم والتلقي ودوره في تكوين الملكة اللغوية، فملكة الفهم والتفكير العرفاني، ينشأ في إطار تنشيط عدة عناصر منها ما هو لغوي(السياق اللغوي)، ومنها ما هو معرفي(السياق المعرفي).

ونعني بالأول أنَّ المستوى النصي دليل مهم بالنسبة للمتعلّم في إطار اللغة، وفي الأدبيات المعاصرة أصبح ما يعرف بالطريقة النصية؛ وهذه الطريقة هي بمثابة تنشيط معرفي للمدارك الإنسانية وليس التلقي الخاص بالقواعد؛ من ذلك أن اللغة ترتبط في جزء كبير بالذاكرة، وبالخيال، وهي مركز المعلومات والتخزين أما القواعد فتزيد في الملكة الاستدلالية والمجردة وهو ما يعرف بالعلاقات النحوية.

أما السياق المعرفي (مولود هيد الله مزايط، 2013، ص21-22) فهو خاص بقدرات الإنسان الذهنية في تقدير الأشياء واحتمالاتها، وجزء كبير منه خاص بتنظيم المعلومات بحسب سياقاتها اللغوية، ومنه أيضا أن المتلقي يملك كفاءات وقدرات فطرية تتمتع بخصائصها الوجدانية والروحية، وعلم النفس المعرفي يهتم كثيرا بهذه السيرورات الذهنية، والدوافع النفسية ودورها في الفهم والتعلم اللغوي.

ولنوضح ذلك نستند الى الشاهد البلاغي الآتي؛ وهو الآية الكريمة قوله عز وجل: " وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور " لقمان/22. (فاضل صالح السامرائي، 2004، ص338-344).

3-1 -السياق اللغوي:

-الآية التي تسبقها وهي قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمِ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا" ، والتي تتكلم على طرق التفويض المتعددة .

-سياق الخطاب القرآني العام، وهو سياق الآية نفسها في سورة البقرة؛ قوله عز وجل : "بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" البقرة/112

-حرف الجر "إلى" الذي يحدد في آية لقمان الطريق والجهة لتفويض الأمور؛ وهي هنا طريق الله "العروة الوثقى"....

-حرف الجر "اللام" في سورة البقرة وهي التي تتكلم عن "الملكية" وهي أعلى من الجهة في سورة لقمان، لأن دلالتها هنا على الإخلاص وتمام التوجه إلى الله تعالى.

من هنا يبرز لنا الفهم الدقيق والشامل الذي يتعدى مبدأ الطبيعية التي نادى بها لانقار في ضوء النحو العرفاني.

3-2-السياق المعرفي:

-مما يميز الملكة اللغوية العربية، أنها ترجع كل لفظة إلى سياقها الخاص بحسب المعنى؛ ومما هو معروف أن هناك نوع من التعلم والتفكير العرفاني يسمى "التفكير المنتشعب"، وهو نوع يتميز به بعض الأفراد، الذين يميلون إلى "تناول عدة جوانب لنفس القضية، والنظر إليها في أبعادها المتعددة، وتحمل الوضعيات الصراعية، والمفارقات واللجوء على التفكير الخلاق (التفكير المتباعد). كما يتمثل في القدرة على القيام بتأويل متعدد الأبعاد" (عبد الرزاق عما، 2014، ص 191).

وهذا ما يعود بنا إلى النظر في المستوى التصوري الذهني، والمستوى المعرفي الاستعاري، الذي أشرنا إليه سابقاً، فإدراك وفهم المتلقي لحروف الجر، أو الاستعارة التي لا تقوم في نظرهم على التشبيه كما عند لانكاكر ولايكوف، لأن اللغة (عبد السلام عشير، 2004، ص45) لا يمكنها نقل التجربة نقلاً لغوياً إلا أن تترك أوصاف الوجود العالقة بها؛ والحال نفسه حينما تنتقل من الخاصية الطبيعية إلى الخاصية المجردة مثلما هو وارد في الشاهد(1).

وفيما يخص الشاهد(3) الآية، فالأمر مختلف بالنسبة للغة العربية، وهنا نتساءل عن النظرة النحوية العرفانية في مناقشة هذه الإشكالات فيما يخص الطبيعية والآلية الاستعارية.

4- استثمار هذه الرؤى في حقل تعلم اللغات واكتسابها:

إن طبيعة المعرفة اللغوية وبنيتها وخصائصها وكيفية استخدامها، في المقاربة التوليدية والتصويرية المعرفية للملكة اللغوية، أظهرت جلياً أن الملكة اللغوية ذات حقيقة عقلية نفسية، وذات بنية مجردة تعمل وفق خوارزميات رياضية منطقية. (كاثرين بايلز، ترجمة عبد الرحمن طعمة، 2017، ص5). ولكن بظهور نحو النص مقابل نحو الجملة عند تشومسكي، اتسع المجال إلى مسارات نظرية أخرى، عمقت مفهوم الكفاءة اللغوية إلى الكفاءة التواصلية التداولية والمعرفية التأويلية؛ وأصبحت الطريقة النصية في تعلم اللغة أقرب إلى طبيعة الملكة اللغوية من حيث تعقيدها. ولكن بظهور نحو النص مقابل نحو الجملة عند تشومسكي، اتسع المجال إلى مسارات نظرية أخرى، عمقت مفهوم الكفاءة اللغوية إلى الكفاءة التواصلية التداولية والمعرفية التأويلية؛ وأصبحت الطريقة النصية في تعلم اللغة :

-أقرب إلى طبيعة الملكة اللغوية وتحصيلها.

- وأشد تنشيطاً لمكونات متعددة عند الإنسان، منها ملكة الفهم، وملكة الحفظ والتذكر، بالإضافة إلى مهارات إبداعية مثل مهارة التحدث والحوار، والاستدلال وغيرها.

-أقرب إلى عملية الاكتساب اللغوي للناطقين باللغة الأم ولغير الناطقين بها.

في حين أن الطريقة التوليدية القواعدية في مظهرها الأول أو الأدنوية في مظهرها المعرفي الحاسوبي:

-هي أقرب إلى التماس الوسائل والقواعد النحوية التي تمثل شكل الملكة اللغوية ونظامها المجرد لها.

-وهي أقرب إلى خدمة الملكة اللغوية في جانبها التقني الحاسوبي، بحسب ما يتم بناء نماذج محاكية في عملها عمل الملكة اللغوية.

أما في المفهوم اللساني المعرفي؛ فقد وسع البحث في علاقة الملكة اللغوية بمقولات الفضاء والمكان لترسيخ قواعد الملكة اللغوية، فبالقدرة الذهنية يستطيع الإنسان أن يدرك الملفوظ بصورة استرسالية وهو مفهوم له أهمية في ضوء تعلم اللغات، لأن الصورة التوليدية ركزت على الترتيب في مراحل التكوين في حين خصائص الذهن وقدرته الإدراكية تتجاوز هذا المنطق إلى منطق استرسالي تقاعلي يعالج المدرك بصورة تزامنية.

إن التعلم والتعليم في ضوء الملكات اللغوية، يتوقف على الطرائق التي تتجدد بصورة هائلة ، مثلما يوضح عبد السلام المسدي (عبد السلام المسدي، 1986، ص136) ذلك أنه فن وأداء وليس قوانين رياضية مصورنة. وأثبتت الدراسات النفسية التربوية انطلاقاً من نتائج علم النفس المعرفي، على استراتيجيات الكفاءات.

فالتعليم النشط، " والتعلم العرفاني هو بناء نشط للمواد العرفانية بصفة إستراتيجية انطلاقاً من المعلومات من المحيط يولد منها المتعلم معارف جديدة يدمجها في المعارف السابقة المخزنة في الذاكرة"(عبد الرزاق عمار، 2014، ص151) ؛ بل " ويضع افتراضات، ويتخذ القرارات، ويربط نتائج عمله بالبنية العرفانية، وينظمها خطيطات،"Sheema" نتائج ذهنية". (عبد الرزاق عمار، 2014، ص157)

وقد بينا بجزء يسير على الطرح المعرفي الذهني، والتفكير الاستعاري؛ وهي نقلة تحدد أن تعلم اللغة يكون بما هو مسخر من محيطه، وأنظمتها المعرفية، فالكائن الذكي هو " الكائن الذي يستعمل تلك المعرفة لأداء أعمال وفق ما تقتضيه حاجاته وظروفه على وجه يخطط له ويتحكم في مساره، ويمثل المحيط مصدراً للمعلومات تستقي منه بتوسط الموارد الحسية كالإبصار والسمع واللمس.. " (الأزهر الزناد : نظريات لسانية عرفنية، ص15)، وهذا من مظاهر اجتماعية الكائن البشري كما هو مستقر وثابت.

لكن تبقى حقيقة الملكة اللغوية أقرب إلى الطبيعة الإنسانية من الطبيعة الرقمية الصناعية؛ وهذا ما يجعل إدراك الأسباب بين تكوينها داخلياً أمراً صعباً؛ وقد حاولت اللسانيات المعرفية أن تجيب عن هذا السؤال وتوضح العلاقة بين اللغة والعقل والإدراك والشعور، عن طريق نتائج علم الأعصاب والبيولوجيا والذكاء الاصطناعي؛ إلا أنها أدركت الأسباب الطبيعية المادية فقط دون المعنوية المجردة مثلما يقول ابن خلدون.

خاتمة :

- ما نختم به هذه المداخلة قول محمد صلاح الشريف عن هذه النظريات "ليس من اليسير وصف المجردات اللغوية بنفس الثقة التي نصف بها المكونات الفيزيائية أو البيولوجية. فالجزئيات المكونة للذرة أو لوالب الذرة المكونة للجينات أقرب إلى الحواس التي لا تدركها إدراكاً مباشراً من الوحدات الصوتية والصرفية المعبر عنها بالأصوات القابلة للقياس.
- ونحن فيما نعتقد وفيما يرى في الدراسات اللسانية المعاصرة الراهنة أن الإشكال الذي ينبغي أن نبني عليه دراستنا هو موضوع تعلم وتعليم هذه الملكة، ذلك أن طبيعة الملكة اللغوية والمعرفة اللغوية مبنية على كيفية تحصيلنا لها وتعلمها أكثر من إدراك مجرداتها.

قائمة المراجع:

1. الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم، (دط)
2. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط1، 1998.
3. عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النحو العرفاني، دار ميسكلياني، زغوان، تونس، ط1، 2010.
4. عبد الرزاق عمار : العرفانية وبناء المعرفة، دار سحر، تونس، (دط)، 2014.
5. عبد السلام المسدي : اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية، أوت 1986.
6. عبد السلام عشير عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، 2004. وينظر: طه عبد الرحمن: العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997.
7. في تفسير وشرح الآية الكريمة : فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني ، جامعة الشارقة، الإمارات العربية، ج2، 2004.
8. كاثرين بايلز : اللغة والدماغ ترجمة عبد الرحمن طعمة، مقال من مجلة فصول، مجلد-25/، العدد صيف 2017، ص5.
9. مصطفى غلفان وآخرون، اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة؛ عالم الكتب الحديث، إرد-الأردن، ط1، 2010
10. منية عبيدي، التمثيل الدلالي للجملة منوال جاكندوف، منشورات علامات، ط1، 2013.
11. مولود هيد الله مزايط: التداوليات المعرفية (تطبيقات على آيات من القرآن الكريم)، مقال من مجلة تحليل الخطاب، بني ملال - المغرب، العدد3، 2013.

12.نعوم تشومسكي : اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، الدار البيضاء، المغرب، ط1،
1990.

13.Publié il y a 22nd April 2012 par lazhar zanned